الفصل الثاني

نضال مانديلا ومحاكمته

- نشاطه السياسي والعسكري (الخيانة والغدر) .
- كفاحه ضد الميز العنصري .
- رمح الأمة .
- محاكمته (محاكمة روح الشعب) .

obeikandl.com

obeikandl.com

الخيانة والغـــدر

مرحلة النضال الأولى من سنة (1956 م إلى 1959 م)

نظراً لازدياد نشاطات نيلسون مانديلا التحريضية والثورية المعاديـة للميز العنصري هو ورفاقه ، فقد تم القبض عليه وأودع السجن مع (156) آخرين ، بعضهم أصدقاء حميمون له وأعضاء في حركة التحريـر بجنـوب أفريقيا ، وذلك بأقدم سجن في مدينة جوهانـسبرغ ويـسمى سـجن فـورت (FORT) ، وقد كان هؤلاء يمثلون كل المستويات وكافة الأجناس والألوان في جنوب أفريقيا ، فعلى سبيل المثال كان بين بينهم (105) أفارقة سود ، و (23) من البيض ، و (1) هندي ، و(7) ملونين .

وتشير الوثائق إلى إن التهمة التي أسندت إليهم جميعاً في تلك الفتـرة هي تهمة الخيانة والغدر .

ومما يجدر ذكره أنه أثناء عقد المحاكم لهؤلاء المناضلين ، احتـشدت الجماهير الشعبية خارج قاعة درل هول (DRILL HALL) تغني وترقص للـ (ANC) وتهتف بشعارات معادية لسياسات الفصل العنصري ، وفـي غمرة حماس الجماهير وهياجانها ، تمكنت من قطع خيوط مكبرات الـصوت بالمحكمة كما فجرت قنبلة أصابت اثنا وعشرين شخصاً بجراح ، الأمر الذي اضطر معه القاضي إلى تأجيل المحاكمات إلى اليوم التالي .

وهكذا تطور الموقف وأفضى إلى مناداة القيادات الجماهيرية إلى إضراب واعتصام عام في البيوت ، وقد نفذ بدقة ونجح نجاحاً باهراً ، وكان ذلك بتاريخ 26 /6/ 1957 م .

وفي (سبتمبر) من نفس العام ، قُتِل وجُرِح ما لا يقل عن 40 شخصاً في اعتصام مماثل بمدينة جوهانسبرغ ، ونظراً لتأثير الكنيسة على الأحداث في المنطقة فقد قرر أحد زعماء الحركة آنذاك وهو أوليفر تامبو رئيس الـ (ANC) فيما بعد أن يكون قسيساً في تلك الفترة ، وقد قبله البيشوب المسؤول آنذاك واسمه أميروز ريفر ، ولكن يبدو أنه عدل عن تلك الفكرة فيما بعد .

- **وينـي مانديـلا :**

وفي هذه الأثناء تزوج نيلسون مانديلا من السيدة (WINNIE NOMZAMO MADIKIZELA) ويني نومزامو مادي كازيلا ، وهي شابة أفريقية جميلة ولدت في 26 / 9 / 1934 م ، في قرية بيزانا (BIZANA) وبالترنسكاي موطن مانديلا ، وقد تعرّف عليها باعتبارها أول أفريقية سوداء تعين للعمل كعاملة طبية واجتماعية في مستشفى بارقواناث (BARAGWANATH) في سويتو موطن السود قرب جوهانسبرغ ووقع في غرامها واتفقا على الزواج.

وكان والدها يعمل مديراً لمدرسة هناك ، في حين توفيت والدتها وهي في التاسعة من عمرها ، وليس لها أخوة إلا أخت واحدة ، وبعد تردد مشوب بالحذر لبّت الآنسة ويني دعوة مانديلا لها على غداء حار في مطعم هندي ، وكان ذلك بداية الطريق لها مع المناضل مانديلا ، حيث حافظت على حضور

اجتماعات الـ (ANC) وقد شدت انتباهها شخصية مانديلا القوية والجريئة والمبادئ التي يؤمن بها ويناضل من أجلها .

وبعد أن طلّق مانديلا زوجته الأولى تقدّم وخطبها من والدها الذي كان فخوراً بمصاهرة رجل في مركز مرموق في أعين الجماهير مثل مانديلا، ورغم كونه مطلوباً لدى المحاكم ، فقد وافق والدها على طلبه وقال لابنته : لقد تزوجت النضال وليس الرجل .

لقد أحبّ نيلسون مانديلا هذه الفتاة بعمق منقطع النظير ، وكانت محور حياته ، وقد قطع صلاته بغيرها من النساء في تلك الفترة ، وفي شهر 6 / 1958 م ، أقاما حفل زواج بسيط في منزلهما بمنطقة بندولاند (PONDLAND) وذلك قبل انعقاد إحدى المحاكم المتكررة لمحاكمة مانديلا بسبب أقواله وأفعاله المخالفة للقانون العنصري .

ونظراً لأن العادة جرت في بلاده أن تتم مراسم الزواج في بيت الزوج مانديلا الذي لم تكن له القدرة آنذاك على تغطية تكاليف ذلك العرس ، فإن ويني مانديلا احتفظت بقطعة من كعكة الفرح على أمل خروج زوجها من السجن بعد قضاء المدة وإقامة حفل بهيج وسط أفراد العائلتين والأصدقاء ، ولكن ذلك الأمل بكل أسف لم يحققه لها القدر سريعاً ، وقيل أن ويني احتفظت بتلك القطع من الكعك لسنوات عديدة ، رغم ذلك لم يدم العيش المشترك بين مانديلا وزوجته ويني إلا نحو عشر سنوات ، حيث حكم عليه نظام الميز العنصري في جنوب أفريقيا بالسجن مدى الحياة ، ليقضي سبعة وعشرين عاماً من عمره خلف القبضان بسجن جزيرة روبين ، وقد أثمر زواجهما هذا

بنيتن هما (زيناني و زيندزي) ، وقد تزوجت الأولى فيما بعد وهي في السابعة عشر من العمر الأمير دلاميني شقيق مسواتي الثالث ملك سوازيلاند .

وفي شهر 8 / 1958 م ، قادت السيدة مانديلا مظاهرة نسائية باعتبارها على رأس عصبة النساء في حركة (ANC) ضد محاكمة أكثر من (90) شخصاً ومن بينهم زوجها المناضل مانديلا ، فضلاً عن المطالبة بإلغاء جوازات المرور والقوانين العنصرية ، وأفضى بها ذلك العمل الثوري في قيادة المظاهرات النسائية والتحريض عليها إلى الاعتقال والسجن ، بينما هي حامل بكبرى بناتها وفي قطيعة مع والدها الذي أُعطي منصباً كبيراً في الترانسكاي قبيل مماته بقليل ، لقد دافع المحامي عن ويني مانديلا قرابة 20 مرة ، وذلك خلال (20) عاماً من المحاكمات ، ومن ضمن التهم الموجهة إلى السيدة ويني مانديلا هي التهجم على الشرطة ورجال الأمن.

- **رياح التغيير :**

وهكذا استمر النضال من أجل إلغاء العنصرية في جنوب أفريقيا رغم حدوث بعض المشاكل واختلاف وجهات النظر بين أعضاء الحركة أنفسهم ، فالبعض طالب بضرورة التركيز على تثقيف الجماهير ، بينما رأى آخرون أن الحركة تهدف لتحقيق أغراض عناصر وطوائف هندية وآسيوية لنشر الشيوعية وليس التأكيد على أن أفريقيا للأفريقيين ، كما طالب آخرون بضرورة إبراز وفضح دور الإمبريالية الأمريكية واحتكاراتها الاقتصادية وتأثير ذلك على الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للعمال الفقراء في جنوب أفريقيا ، الذين يعانون من البطالة وانخفاض الأجور وشظف العيش والحياة الضنكة ، وكيف أن نظام الفصل العنصري يجمع الأموال من الخارج

بحجة تحسين مستوى السكان السود وتنمية مناطقهم ، ولكنها في الواقع تجمع لزيادة أرباحه ودخله على حساب الفقراء .

وفي عام 1958 م ولأول مرة أدانت الولايات المتحدة الأمريكية في إحدى دورات الأمم المتحدة نظام الميز العنصري (الأبارتهايت) وفي حين كان مانديلا يواجه محكمة بتهمة الخيانة ، أنجبت وينى ابنته الأولى (ZENANI) ، غير أن محامي الدفاع تمكنوا من دفع التهمة عن (126) آخرين من رفاقه ، ولم يستمر في المحاكمة إلا (30) شخصاً فقط من بينهم نيلسون مانديلا .

وبموجب قانون لتوزيع المجموعات السكانية وتوطينها حسب المناطق أطلق سراحه ورفيقه تامبو ، وأرغما على مغادرة جوهانسبرغ وقفل مكتبهما القانوني هناك ، غير أنهما استمرا في العمل وسط الجماهير الشعبية للمحافظة على استمرار قانونية المكتب ، فضلاً عن الدفاع عن قضايا بني جلدتهم الفقراء المعدمين الذين لا يمكنهم عرض مشكلاتهم على قضاة غير أفارقة سود لأسباب عديدة (مالية وعنصرية) . . . الخ .

في سنة 1960 م بدأت رياح التغيير تهب على إقليم الجنوب الإفريقي، فقد شجع إعلان الاستقلال عدد من دول القارة الجنوبية على القيام باعتصامات وإضرابات في ناتال وفي إقليم ناميبيا المحتل أيضاً ، وبلغت ذروة المقاومة في 31 / 3 / 1960 م حينما قامت حركة الـ (PAC) [1] المؤتمر الأفريقي الجامع بزعامة المناضل سوبوكوي (SOBWKEW) بمظاهرة صاخبة

---

(1) يترجم أحياناً (مؤتمر عموم أفريقيا) .

ضد قوانين المرور الجائرة وذلك في إحدى ضواحي مدينة شاربفيل (SHARPEVILLE) بمنطقة الترانسفال الجنوبي . وقد قام 75 جندياً من البوليس العنصري بإطلاق الرصاص على الجماهير البريئة العزلاء ، وقتلوا منها 69 شخصاً وجرحوا 180 آخرين أغلبهم نساءً وأطفالاً .

وفي مدينة الكاب قُتل وجرح ما يقرب من 50 شخصاً آخرين في نفس اليوم ، كل ذلك أدى إلى انتشار موجة العنف والإضطرابات واستمرار الإضرابات والاحتجاجات في مناطق مختلفة ، الأمر الذي أرغم الحكومة على إعلان حالة الطوارئ ، واتهام قادة حركة الـ (ANC) و الـ (PAC) بتزعم أعمال العنف والتحريض لإثارة الفتن والقلاقل والاضطرابات ، وكان على رأسهم نيلسون مانديلا ، وفي هذه الأثناء تمت محاولة قتل رئيس الوزراء العنصري آنذاك ويدعى فيروورد (VERWORED)، الأمر الذي أضرم النار ورفع من حدة أعمال العنف ، مما سبب في مقتل وجرح الكثيرين ، وتأكد فتح باب المقاومة المسلحة ضد نظام الميز العنصري.

وفي 8 / 4 / 1960 م أعلنت الحكومة العنصرية في جنوب أفريقيا بأن كلا الحركتين ، حركة الـ (ANC) والـ (PAC) خارجتين عن القانون ومحظورتين ، وذلك بموجب عملية تصويت بالأغلبية ، أي 128 ضد 16 صوتاً . وفي هذه الأثناء غادر أوليفر تامبو جنوب أفريقيا صوب بريطانيا ثم تنزانيا للبدء في تأسيس حركة الـ (ANC) في المنفى خارج بلاده ، ومما يجدر ذكره أن مقر الـ (ANC) كان في مدينة لوزاكا عاصمة زامبيا، حيث يتواجد أوليفر تامبو نفسه ، ولديها مكاتب وفروع في كثير من دول العالم ، وتحظى بتأييد واعتراف دول ومنظمات وقوى عديدة ، و من أكبر

وأهم المؤيدين للحركة الاتحاد السوفيتي ، ودول المواجهة مع العدو العنصري، بعض الدول العربية كمصر وليبيا والجزائر على سبيل المثال .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن أعضاء حركة الـ (ANC) قد تم طردهم إلى أبعد نقطة ممكنة عن جنوب أفريقيا ، فبعد اتفاقية انكوماتي سنة 1985 م في الموزامبيق تم حظر نشاط الحركة هناك ، وبعد اتفاقية استقلال ناميبيا وإحلال السلام في أنغولا في نهاية سنة 1988 م ، تم الاتفاق السري على قفل مكاتب الـ (ANC) في أنغولا وتحويلها إلى تنزانيا ، هذا وقد تعرّض أعضاء الحركة ومقراتها في كل من زامبيا وزيمبابوي وبوتسوانا إلى هجمات قوات الجيش العنصري في جنوب أفريقيا (SADF) مما أدى إلى تقليصها أو شلّ حركتها .

- **مانديلا والسجون العنصرية :**

لا يفوتنا في هذا المقام إلقاء الضوء على سجون جنوب أفريقيا وأوضاعها المزرية والتي عانى فيها مانديلا ورفاقه أشد أنواع القهر والتنكيل والعذاب ، فعلى سبيل المثال كان كل (5) مساجين يوضعون في زنزانة أو قفص واحد عرضه 6 أقدام وطوله 12 قدماً ، وبه سطلان للمياه أحدهما لقضاء الحاجة والآخر للشرب ، وبعض البطاطين القديمة الرثة ، والأكل معظمه من الذرة ، كما أنه لا يسمح للمساجين بالاستحمام إلاّ كل عشرة أيام أو أكثر ، وقد حدثني شاهد عيان كان مسجوناً وخرج من السجن لتوّه بعد أن قضى ما يقرب من عشرين سنة بما يلي :

" إن سجن جزيرة روبن والذي يبعد عدة أميال عن مدينة الكاب في المحيط الهادي ، هو عبارة عن قلعة مجهزة بكافة الوسائل الحديثة التي تجعل

للخروج أو الهروب من هذا السجن ضرباً من الخيال ، وإذا صادف وأن تحقق وهرب أي سجين سباحة فإنه بكل تأكيد سيكون طعماً سائغاً لأسماك القرش الضخمة المرابطة على حدود الجزيرة من كل الجهات ، كما روى لي قصصاً غريبة عن أنظمة الأكل ، فقال : تمر علينا سنة أو سنتان في بعض الأحيان دون أن نذوق طعم اللحم أو الخبز مثلاً ، كما تُمنع علينا بعض المأكولات لمدد طويلة ، فالخبز اليابس أمنية في بعض الأحيان ، هذا ويفرض حراس السجن برنامج (ريجيم) إنقاص الوزن ، بحيث يقللون من كمية الوجبات بالتدريج لبعض السجناء لفترات طويلة ، لدرجة أن يبقى السجين عظماً في جلد فقط ، حتى يمكنه المرور من دوائر وحلقات ضيقة أعدت خصيصاً لقياس الهياكل العظمية البشرية والعظام والأذرع والسيقان .

وفي السجن أُنتخب مانديلا متحدثاً باسم المساجين ، وكثيراً ما صرخ واحتج على المعاملة القاسية ، ونوعية الأكل ، وحظر الكتب والصحف على المساجين ، لقد كان تواجده في السجن باعثاً للروح المعنوية العالية لرفاقه رغم بعده عن زوجته وابنتيه اللائي كنّ في أمس الحاجة إلى العيش بجانبه .

وبتاريخ 1 / 8 / 60 م ، قدم مانديلا إثباتات ودفوعاً قانونية في أكثرمن 400 صفحة ، وكان يقول إن مشوارنا طويل وشاق ، ونحن في امتحان عسير ، انظروا إلى النضال والكفاح في أنحاء أخرى من أفريقيا ، وضرب مثلاً بكينيا وبريطانيا التي قال بأنها يتوّجب عليها الخروج من كينيا بأي وسيلة يقررها زعماء ذلك البلد الأفريقي . وحينما سأله القاضي عن النظام الطبقي أجاب بقوله : إن كثيراً من الممارسات الشيطانية حدثت نتيجة لتطبيق نظام الميز العنصري في بلادنا ، كما أكد على حق التصويت والانتخاب لكل فرد في مجتمعه ، ولم ينفِ انتسابه لحركة الـ (ANC) ،

وعن **الحزب الشيوعي** يقول : إنني لم أتعمق في دراسة مفكريه وأيديولوجيته، ولكنني معجب بالأطروحات الاشتراكية عموماً . وفي نفس الشهر تـمّ إلغـاء حالة الطوارئ وأطلق سراح المتهمين ، ولم يعد مانديلا لأهله ، بل بقى فـي بريتوريا لمتابعة القضية مع مجموعة أخرى من رفاقه لإعطـاء استـشارات قانونية لمواطنيه ، وأصبح في شغل وعمل متواصلين ، ولذا لم يكن لديه وقت كافٍ حتى لمجرد التفكير على حد قوله ، وفي هذه الأثناء أنجبت زوجته الابنة الثانية ، وعولجت في مستشفى جوهانسبرغ ولكن فـي قـسم خـاص بغيـر الأوروبيين .

وفي مارس 1961 م ، اختتمت المحكمـة أعمالهـا بعـد مناقـشات واستجوابات طويلة ، ووصفت زوجته مجيئه إليها خلسة حيث ناداها في فناء المنزل وطلب منها إعداد حقيبة ملابسه وطلب منها أن تتحلى بالـصبر ، وأن تعتني بأطفالها لأنه سيغيب طويلاً عنها ، وبعينين دامعتين أعدت له ما طلـب وودعته دون أن يرى حتى ابنتيه ، وتقول : لقد دفع لي إيجار البيت لأول مرة مقدماً لستة أشهر ، ثم غادر البيت الذي يقع تحت المراقبة الصارمة من قوات البوليس والمخبرين السريين العنصريين .

- **استمرار الكفاح السلمي وتأسيس رمح الأمة :**

رغم أن الاجتماعات العلنية في الشوارع والميادين والمناطق المختلفة لحركة الـ (ANC) استمرت ورددت الجماهير المطالب التي ينادي بهـا مانديلا في الديمقراطية والمشاركة في حكم البلاد وليس فقط تلطيف العنصرية وجعلها ناعمة الملمس ، إلا أنه بالنظر إلى تهديد الحكومة وأجهزتهـا القويـة المستمرة لمواجهة الجماهير فإن قراراً بالعمل السري قد أُتخذ ، وقال مانـديلا

في ذلك الصدد : علينا أن نرضى بالعيش تحت أي ظرف بشرط ألا نحيد عن أهدافنا ، وعلينا أن نتحمل مسؤولية تصرفاتنا وأعمالنا .

وبعد أن كان يظهر في اللقاءات والمؤتمرات والاجتماعات الحاشدة ويحرض على الاعتصام والبقاء في البيوت ويؤكد دائماً مقولته الشهيرة : "إننا سننتصر في النهاية " . فإنه في لحظة ما اختفى تحت الأرض ولكن إلى أين؟؟ وبالطبع بدأ البحث عنه في كل مكان ، ورغم أنه من الصعب على شخص مشهور مثله أن يغيب عن الأنظار بسهولة ، إلا أن دعم سكان القرى والأرياف وأيضاً مسلمي الكاب قد عزّز مركزه وجعله يتجول في الأحياء والمدن مختفياً تحت جنح الظلام وبأسماء وأشكال مختلفة في كل مرة ، وكثيراً ما قفز من على سطح أو منزل بحبل معرضاً نفسه للخطر ومحرضاً الجماهير العريضة والقطاعات الشبابية والطلابية ، وشارحاً الأهداف النضالية والكفاحية التي يجب أن تتوج بإقامة جمهورية عادلة لكل الناس على مختلف ألوانهم وأجناسهم في جنوب أفريقيا (أزانيا) .

وفي 24 / 4 / 1961 م كتب مانديلا نيابة عن مجلس الحركة أو (الفعل الوطني) رسالة إلى رئيس الوزراء يحذره فيها من مغبة السياسة العنصرية التي تنتهجها حكومته وقال : إننا لا نهاب القوة والعنف . . ولكن رئيس الوزراء لم يجب على رسالته .

وفي 29 / 5 اندلعت أعمال العنف والمظاهرات مطالبة بالميثاق الوطني مما أدى إلى إلقاء القبض على عشرة آلاف شخص ، ولكن مانديلا نجا من الاعتقال في تلك المرة .

ومن الهتافات والأناشيد التي كانت الجماهير ترددها حينذاك :

شـــعب جلـــوب أفريقيـــا الاحتجـــــاج مـــــستمـــر
القـــبض علينـــا لا يوقفنـــا التـــصويت حـــق للجميـــع
الأجـــور العادلـــة للجميـــع إلغـــاء قـــانون التجـــول
نحن لانُخـــوّف أو نُرهـــبِ نحن نهب لتنفيذ ما نؤمن به

من مبـــــادئ

ابق في البيت ، إلى الأمـــام إلى الحريـــة لنحققهـــا فـــي

حياتنـــــا

في 26 / 5 / 1961 م استجاب مئات العمال من الـسود والملـونين والهنود لنداء مانديلا ، وأذاعت وسائل الإعلام أنهم بقوا في بيوتهم واسـتمر الإضراب لليوم التالي بنسبة 75 % حسب تقديرات المراقبين .

وفي لقاء له مع الصحفيين في شقته المتواضعة قـال مانـديلا : " إن الإضراب قد نجح لأن الجماهير قد ملّت وضجرت ، وسـتقوم بـرد للفعـل المناسب خاصة إذا ما تعرضتُ شخصياً للأذى ، وأردف بأن ملف النـضال السلمي سيقفل بالمرة ، وسيبدأ الكفاح المسلح ضد نظام الميز العنصري فـي بلاده .

هذا ولا شك أن بعض السلبيات قد صاحبت ذلك الإضـراب ، إلا أن السبب يرجع لكون المؤتمر الوطني الإفريقي قد تم حظر نشاطه منذ 14 شهراً تقريباً وفرضت قيود صارمة على أعضائه ، ورغم ذلك فقد تزايدت مطالـب الجماهير الشعبية وقياداتها بضرورة إصدار وثيقة وطنية والاعتـراف بحـق صوت لكل شخص بغض النظر عن لونه وعرقه ، غير أن السؤال الذي برز

دائماً : هل يمكن تقديم مطالب والتعامل مع حكومة عنصرية تمارس القهر على الأفارقة بشكل بربري وهمجي دون هوادة ؟

وفي 26 / 6 / 61 م ، وهو يوم الحرية في جنوب أفريقيا (وأية حرية هذه) ، أجاب مانديلا عن ذلك السؤال من مقر حركته السري بقوله :

" إن عهداً جديداً قد لاح في أفق جنوب أفريقيا ، وعلينا تنفيذ خطتنا الجديدة في مقاطعة النظام العنصري وعدم التعامل معه وتحريض جماهيرنا وأصدقائنا في الخارج لإحكام الحصار عليه سياسياً واقتصادياً ، علينا أن نقاتل الحكومة العنصرية جنباً إلى جنب حتى النصر ، وقال لمستمعيه بالنسبة لي شخصياً فإنني قد عزمت على البقاء في الداخل وعدم مغادرة بلادي ، وسوف لن أستسلم أو أن أخضع . فماذا أنتم فاعلون ؟ ؟ " .

إن عمليات التخريب والانتقام فضلاً عن الاعتصام والاضرابات قد فتحت باب الأمل لمستقبل مشرق في جنوب أفريقيا بعد تأسيس حركة أمختو سيزوي (رمح الأمة) ، وهي الجناح العسكري في الـ (ANC) ، إثر مناقشات عديدة تمت بين مجموعات صغيرة ، فقد تحمل مانديلا مسئولية قيادتها بنفسه كي يتأكد من تحقيقها لأهدافها وتنفيذها للمهام الموكلة إليها .

وقد ذكر مانديلا في شريط مرئي وثائقي أنه كان خبيراً في عمليات التفجير وقد تعلم وتدرب في الجمهورية الجزائرية أثناء زيارته لها في فترة الكفاح والنضال في جنوب أفريقيا [1] .

---

(1) شريط وثائقي (تقرير) بالإذاعة الليبية المرئية ، بتاريخ 7 / 12 / 2008 م .

لقد انهمك مانديلا في العمل لدرجة أن فترة غيابه عن أسرته قد طالت أكثر مما يجب ، وفي حين كانت زوجته تعمل في مؤسسة اجتماعية للأطفال في جوهانسبرغ ، فقد فاجأها باتصال هاتفي ذات مرة والتقى بها من ناحية أحد الشوارع ، وقاد بها السيارة وأوصلها إلى قرب مدخل للبيت وسلمها السيارة وغاب عن الأنظار ، وصادف أن تعاطف معه رجل أبيض في تلك الفترة واسمه كودش ، حيث أسكنه في بيته ، غير أن مشكلة مانديلا كانت كيف يقنع العاملة في البيت بوجوده كرجل أسود في بيت رجل أبيض دون أن يكشف أمره ، غير أنه تودد لها وعاملها بلطف وتحدث معها ، ولحسن الحظ لم تثر أي سؤال حول وجوده بينهم .

لقد كانت هناك خيارات أربعة أمام مانديلا لمقاومة العنصريين في بلاده ، وقد تمثلت في :

التخريب ــ حرب العصابات ــ عمليات إرهابية ــ أو اندلاع الثورة.

وكان يعرف جيداً أن التخريب يجعل يوم النصر قريباً في مجتمع صناعي يعتمد على الاتصالات وطرق المواصلات ، وفي بلاد واسعة تتأثر تأثراً بالغاً بأي عمل تخريبي يحدثه الثوار ، كما أنه كان على علم تام بأساليب الأجهزة البوليسية والمخابراتية وعقوبات الحبس والإعدام ، فضلاً عن تسجيل المكالمات والمطاردات ، ففي مدينة بورت إليزابيث وحدها يوجد 21 سجناً أو مكان حجز تم إنشاؤها في (نوفمبر 1961 م) وكان مانديلا على علم بها وقد خبرها ، وكاد أن يقع في الأسر ويودع أحد تلك السجون في إحدى المرات ، غير أن البوليس كان رجلاً أسوداً وقد مر بجانبه ويبدو أنه عرفه

حيث حياه برفع إبهامه وهي تحية حركة الـ (ANC) ، ونجا مانديلا في تلك المرة أيضاً بأعجوبة .

وفي شهر (12) ديسمبر 1961 م ، انفجرت أول قنبلة من فعل عناصر رمح الأمة الذي يؤمن بالتغيير السلمي في جنوب أفريقيا ، إلا أنه وجد أنْ لا بديل عن طريق النضال والكفاح المسلح من أجل الحرية .

- **مانديلا في مهمة ثورية بالخارج :**

وفي شهر (يناير) 1962 م تمكن مانديلا من التسلل خارج بلاده عبر بوتسوانا لحضور مؤتمر في أديس أبابا بأثيوبيا حضره عدد من قادة وزعماء أفريقيا ، نوقشت فيه قضايا تحرير أفريقيا ووحدتها ، وقد ألقى خطاباً تحدث فيه عن سياسة التمييز العنصري التي تمارسها حكومة الفصل العنصري ضد شعبه في جنوب أفريقيا، والتقى هناك بأوليفر تامبو، وطالبا معاً بدعم النضال في جنوب أفريقيا، والعمل على قبول اللاجئين ومساندة حركتهما وشعبهما ، وإدانة العنصرية ، كما حيا نضال الموزمبيقيين والأنجوليين ضد البرتغاليين آنذاك ، كما أشاد بجهود غانا وتنزانيا ونيجيريا في تحرير القارة ، ولم يمض وقت طويل حتى تم طرد جنوب أفريقيا من منظمة الكومنولث .

ومن جهة أخرى فقد أخطر أعضاء المؤتمر بأن حركته ستتبع سياسة سلمية حتى تنفذ تلك الوسائل ضد العنصريين المسلحين ، وقال إنه برغم كونه يعمل سراً وعليه حظر في الداخل وفي الخارج ، إلا أنه قرر حضور هذا المؤتمر لإطلاع القيادات الإفريقية على قضية بلاده مباشرة والتي سيجد منها التأييد القوي شأنها شأن القوى الحية والمحبة للسلام والحرية في العالم .

وقد استغل فرصة وجوده في الخارج وقام بزيارة إلى عدد من الدول الإفريقية ، وذلك للحصول على الدعم المادي والمعنوي وعلى فُرص للتدريب العسكري والتدريب المهني ، فضلاً عن بعض المنح الدراسية لأعضاء حركته.

وفي الشهر السادس من عام 1962 م قام أيضاً بزيارة إلى لندن يرافقه في ذلك رفيقه أوليفر تامبو ، ثم عرّج على الجزائر والتقى بقادة جيش التحرير الجزائري حيث كان مانديلا من المعجبين جداً بنضال الشعب الجزائري (شعب المليون شهيد) ضد الفرنسيين الغزاة ، وأثناء تواجده بالجزائر العربية تلقى مانديلا بعض التدريبات والتمارين العسكرية في كيفية استعمال السلاح الخفيف والتفجير وإشعال النار ، كما استمع إلى شروح ومحاضرات نظرية أخرى .

وفي طريق عودته إلى شرق أفريقيا ، قابل كلاً من جوليوس نيريري الذي أصبح رئيساً لتنزانيا فيما بعد ، وكذلك كينث كاوندا الرئيس الزامبي بعد الاستقلال ، والتي تحتضن بلاده المقر الرئيسي لحركة الـ (ANC) آنذاك كما أشرنا سابقاً ، حيث أطلعهم على آخر تطورات الأوضاع في بلاده .

كما اتصل في هذه الزيارة بالزعيم جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، ومر بمدينة طرابلس الليبية ، كما التقى بالمسؤولين في تونس ، شارحاً وموضحاً مآسي سياسة التمييز العنصري في بلاده ، وحق شعبه في العدالة والمساواة مع البيض المحتلين في جنوب أفريقيا .

وقد أُستقبل مانديلا بترحاب في حله وترحاله عبر أفريقيا ، ولاحظ أن السود والبيض يعيشون في سلام ووئام في كل مكان حط به باستثناء بلاده جنوب أفريقيا ، حيث يعامل بني جلدته باعتبارهم غير بشر .

ورغم كونه مطلوباً إلا أنه كان لزاماً عليه أن يعود إلى موطنه الأصلي باراً بوعده الذي قطعه على نفسه ، إذ تمكن من عبور الحدود خلسة ووصل بسلام بعد هذه الرحلة والتي نفذ فيها مهام ثورية في مواجهة (الأبارتهايت) إلى بيت صغير قرب مركز للبوليس في جوهانسبرغ ، حيث يفترض أن يقيم مع أفراد عائلته ، وبعد أن قدم تقريراً في مكان ما لأعضاء حركته (للمؤتمر الوطني الأفريقي) وجناحها العسكري رمح الأمة (MK) حيث التقى أصدقائه ورفاقه أمثال لوتولي (LUTULI) ، وكانت قوات البوليس العنصري قد استنفرت قوتها وإمكاناتها حتى تمكنت من إلقاء القبض عليه في مدينة دربن برفقة زميل له يدعى سي. وليم (C. WILLIAM) في يوم 1962/8/5 م وقدم للمحاكمة مرة أخرى .

- **محاكمة روح الشعب :**

بتاريخ 8 / 8 / 1982 م أُتهم مانديلا بالتحريض على العصيان المدني ، والإضرابات ، ومغادرة البلاد دون تصريح ، والانتماء إلى حركات وتنظيمات محظورة ، وتهم أخرى عديدة ، وألقي عليه القبض ، وقدم للمحاكمة.

وقد كان مانديلا طوال المحكمة رابط الجأش قوياً مبتسماً متمتعاً بمعنويات عالية ، في حين كانت زوجته تنظر إليه من بعيد معجبة ودامعة ، كل ذلك وسط صرخات الجماهير المدوية خارج القاعة المنادية بإطلاق سراح بطلها وقائدها ، الذي استلم رسالة حارة من زميله في الكفاح المناضل سوبوكوي زعيم حركة الـ (PAC) الذي يقضي عقوبة 3 سنوات في السجن ، شأنه شأن مانديلا حيث اتهم بمخالفة القوانين العنصرية الجائرة والتي

تمنع التجمع في أي مكان ، فضلاً عن ضرورة التبليغ عن أي زائر أو غريب وضرورة أخذ الحيطة والحذر من القيام بأي عمل يساهم في زعزعة استقرار النظام العنصري .

وقال مانديلا في رده على تحقيقات القضاة البيض بالمحكمة: " إنني أجد نفسي على حق قانونياً وأدبياً حينما أرفض أحكاماً لقانون وضعه برلمان عنصري ، ليس لدي فيه تمثيل ، إن المحكمة وقوانينها بهذا الشكل هي ترسيخ للظلم وليس للعدل ، إن محاكمتي هي في الواقع محاكمة شاملة لتطلعات وآمال هذا الشعب ، وأضاف أن القاضي والمدعي العام وكل من أعضاء المحكمة هم من البيض الذين يمتلكون الأرض ومن عليها في بلادي ، ولهذا اشعر أنني مضطهد من قبل الإدارة والقوانين الجائرة التي صاغها برلمان البيض ، وقال: إنني أكره الميز العنصري ، وسأظل أقاومه بكل قوة ما دمت حياً . إن البيض يحرموننا من حقنا في العيش بسلام ، وتحقيق تقدمنا المادي والمعنوي على أرضنا ، وفي ختام دفاعه قال : إنني تحدثت بكل أمانة وصدق ، وإنني أدين العنصرية لأنها تسببت في إيجاد وضع خطير جداً في بلادي .

وفي عرض هزيل لتمرير القضية وإعطائها صبغة عادلة ومنصفة ، فقد استدعى السكرتير الخاص برئيس الوزراء آنذاك للإدلاء بشهادته ، وقال : إنه يتذكر رسالة نيلسون مانديلا إلى رئيس الحكومة بخصوص المطالبة بحق التصويت وإطلاق الحريات العامة ، وأوضح بأن الرسالة لم يتم الرد عليها آنذاك أي بمعنى أنها أهملت .

وفي 25 / 10 / 1962 م أدانت تلك المحكمة الزائفة مانديلا بارتكاب التهم المنسوبة إليه ، رغم أن ذلك كله كان ظلماً وعدواناً .

إن مانديلا الذي يتحلى بأخلاق القرية والتمسك بالترابط الاجتماعي وبالأرض وبالوطن ، هو أيضاً محام بارع ورجل قانون بحكم التخصص والوظيفة ، ولذا فهو منذ أن قرر الالتحاق بحركة الـ (ANC) وتقويتها وتصليب عودها فهو يناضل من أجل قيم ومبادئ سامية ، يجب أن تسود في بلاده مثل العدالة والمساواة والحرية ، وذلك على أنقاض مفاهيم وأساليب عنصرية ظالمة وجائرة يمارسها البيض الغزاة قهراً وقمعاً للسكان الأفارقة الأصليين .

وفي هذا يقول مانديلا : إن هذه الحكومة العنصرية تقاطعنا وتتجاهلنا ولا تتحدث معنا ، بينما تتهمنا بالعنف والوحشية ، وفي الوقت ذاته تتآمر ضدنا وتخرّب مخططاتنا وبرامجنا ، ولذا فإن أي تمرد أو عصيان هو بلا شك ناتج عن سياستها العدائية تجاهنا ، وكان يشير دائماً إلى مذابح السود خلال أعوام 1921 و 1924 م على أيدي المستعمرين البيض في جنوب أفريقيا .

ويضيف مانديلا قائلاً : رغم حرماني من العيش مع أطفالي وأسرتي وعشيرتي ، إلا أنني لم أندم على ذلك القرار الذي اتخذته بضرورة قول ما يجب عليّ قوله ، والاضطلاع بمهمة مقاومة قوانين وسياسات ظالمة ، إنني مجرد واحد فقط من شعب مسلح أدين له بالنجاح الذي أحرزته في حياتي ، إنني على معرفة تامة بسجون جنوب أفريقيا العنصرية وبما يجري فيها ، ولكن رغم ذلك فإنني سأواصل النضال مع شعبي لإلغاء الميز العنصري وذلك بعد خروجي من السجن ما وجدت إلى ذلك سبيلاً [1].

---

(1) نيلسون مانديلا ، الجهاد حياتي ، (ت) محمود حسين أحمد ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، سبها ، ليبيا ، 1989 م .

إن إعلان الجمعية العامة للأمم لمتحدة بفرض مقاطعة شـــاملة علـــى جنوب أفريقيا في 6 / 11 / 1962 م وذلك بـــ 67 صوتاً مقابل 16 صوتاً لم يجد فتيلاً ولم ينقذ مانديلا من الحكم عليه بخمس سنوات مع الأشغال الشاقة في اليوم التالي لذلك الإعلان .

لقد غادر مانديلا المحكمة هاتفاً بصيحات الحرية وسط هدير الجماهير وصرخاتها خارج القاعة بحياة مانديلا وتثمينها لنضاله وتضحياته في ســبيل قضية شعبه المضطهد ، وبينما كان يدخل السجن المركــزي فـــي بريتوريـــا أعلنت زوجته السيدي ويني مانديلا قائلة : " إنني سأواصل النضال الذي بدأه مانديلا " .

ومن رواء القضبان الحديدية الفظيعة التقى بالمناضل الأفريقي المسلم يوسف عمر وهو أحد أعضاء حركة ثورية تحررية تسمى الوحـــدة ، وكـــان يعرف مانديلا منذ مدة ، حيث التقى به في أحد الاجتماعات الجماهيرية فـــي السابق ، وكان السيد عمر هذا معجب بشخـصية مانـــديلا وبرجاحـــة عقلـــه وسلامة تفكيره ، ويذكر أن مانديلا قد أفصح له ذات مرة عن إعجابه بالطابع المميز والتقليد الإسلامي في مفهوم الأخوة والوحدة .

وكان معه في السجن أيضاً المناضل ســـوبوكوي (SOBUKWE) من قادة حركة تحرير الـــ (PAC) ، غير أنه لم يلبث (أي مانديلا) أن نقل إلى سجن آخر يوجد في جزيرة روبن (ROBIN ISLAND) على بعـــد عدة أميال في مقابل مدينة الكاب ، وقد قال لي سجين سابق في تلك الجزيـــرة أن السجن بها تحرسه أسماك القرش الضخمة ، فضلاً عن قـــوات البـــوليس

المسلحة بأحدث المعدات ، كما نقل رفيقه السيد سوبوكوي إلى تلك الجزيرة السجن .

وبموجب قانون ظالم يجيز إلقاء القبض على أي مشتبه فيه لمدة 90 يوماً دون محكمة ، فقد تم القبض على عناصر نشطة وهامة في حركة التحرير الوطني بجنوب أفريقيا ، ومن بينهم السيد سيزولو والسيد نغودلي (L. S. NGUDLE) الذي مات تحت التعذيب ، كما قبض على عدد آخر من مختلف الألوان والأديان منهم بيض وسود وهنود ومسيحيون ومسلمون ، فعلى سبيل المثال كان من ضمن المقبوض عليهم السيد أحمد كاثرادا وهو مسلم نشط في مواجهة الفصل العنصري ، منذ أن كان طالباً في ريعان الشباب وقد سجن سبعة وعشرين عاماً ، والتقى به المؤلف شخصياً بعد خروجه من السجن في جمهورية بوتسوانا نهاية الثمانينات .

وفي 9 / 10 / 63 م أعيد مانديلا إلى بريتوريا لمواجهة محاكمة أخرى ، وذلك ضمن سلسلة محاكم طويلة لا تنتهي ، وفي هذه المرة عُرفت باسم بمحاكمة (ريفوينا) وهي المكان الذي تم إلقاء القبض فيه على تلك المجموعة المناضلة والمتهمة ، فقد وُجه باتهامات عديدها ومنها ما يلي:

1 ـ العمل على إشعال لهيب الثورة على غرار الثورة الشيوعية لفيدل كاسترو بكوبا ، والقيام بأعمال العنف والإرهاب المحظورة.

2 ـ استلام أموال من دول أجنبية مثل الجزائر ـ أثيوبيا ـ تونس ـ ودول أخرى مختلفة، وغيرها من الاتهامات الكثيرة .

وفي دفاعه عن نفسه أعلن مانديلا بأنه ليس مذنباً ، وفنّد كل الاتهامات الموجهة إليه ، ولكنه ورفاقه استغلوا تلك المحاكمة للجهر بآرائهم الثورية وإدانتهم للميز العنصري وضرورة مواجهته بإسقاط الحكومة العنصرية ، وعدم الإذعان لقوانينها الظالمة.

وفي إطار تلفيق التهم ومحاولة إثباتها على هؤلاء المكافحين فقد أُستخدم شخص كشاهد ضدهم أمام المحكمة تحت اسم إكس (X) واسمه الحقيقي برونو متولو (BRUNO MTOLO) وكان عضواً في الحركة ثم ارتد عن مبادئه وأصبح عميلاً للعنصريين ، وكانت شهادته خليطاً بين الحقائق والأكاذيب .

ثم تم عرض بعض المستندات التي توضح صوراً لبعض الإدارات الحكومية ومحطات السكك الحديدية والكهرباء وبعض المواقع الهامة وقيل أنها قد ضبطت مع مجموعة (RIVONIA) ريفونيا ، كما تم تعريض أسر وعائلات المتهمين للحبس والتعذيب والمطاردة ، فعلى سبيل المثال فقد تم إلقاء القبض على زوجة السيد سيزولو وابنه البالغ من العمر 16 سنة وذلك لمدة (113) يوماً .

وفي معرض مرافعته عن نفسه دافع مانديلا بقوله : إن النضال في جنوب إفريقيا لا يقع تحت تأثير أي جهة أجنبية بما فيها الشيوعيون ، وإنما قمت بما يجب عليّ القيام به بوحي من ضميري وتاريخي وإرادة شعبي ، وليس تحت أي ضغط خارجي ، لقد كان الحلم الذي يراودني منذ أيام الصبا أن أهب حياتي فداءً لشعبي وأمانيه .

وقال : إني اعترف بأني قمت بأعمال العنف هذه نظراً للظلم والقهر الواقع على شعبي ، ولا أنكر تأييدي ومساعدتي في إنشاء حركة رمح الأمة العسكرية (MK) في شهر 8 / 1962 م ، وقال : إنني عضو في الـ (ANC) و الـ (MK) على حد سواء .

وحذر للمحكمة من ازدياد موجات العنف ، وإن حركات المقاومة المتصاعدة الآن قد بدأت بعدد قليل فقط من الأشخاص ، وكان مانديلا يشير في خطبه الحماسية ضرورة الاتجاه إلى العنف ، والكفاح المسلح والعمل السري بعد أن نفذت كل الوسائل السلمية وذلك دفاعاً عن شعبه الذي حثه للتدريب على استعمال السلاح وتبني الكفاح المسلح لتحرير بلاده .

وفي معرض إشارته للعلاقة المتميزة بين الـ (ANC) والحزب الشيوعي وتعاونهما المشترك لتحقيق هدف واحد وهو حرية شعب أزاليا ضرب مثلاً بالأحزاب من أجل حرية واستقلال شعوبها دون أن تصبح تلك الدول شيوعية ، وكثيراً ما كان يردد بأن الشيوعيين دائماً يقفون إلى جانبنا ويؤيدون تحررنا واستقلالنا ، ويقول : صحيح لقد كنت متأثراً بأفكار ماركس ولكن هذا ينطبق على كثير من قادة الدول الإفريقية المستقلة حديثاً ، ومثالنا على ذلك غاندي ونهرو ونكروما وناصر ، فكلهم يعرفون هذه الحقيقة ، إذ أننا كلنا بحاجة إلى قبول شكل معين من أشكال الاشتراكية لنصل بشعبنا إلى مصاف الدول المتقدمة وننشلهم من دائرة الفقر . ولكن لا يعني ذلك بالضرورة أن نكون شيوعيين ، أما فيما يتعلق بدفوع الاتهام بالحصول على الدعم الخارجي ، فقد أوضح مانديلا بأن الدعم كان يأتيه من أشخاص ومنظمات داخلية متعاطفة معه ، ولكن بعد أن تم تكوين الجناح العسكري (MK) واتصاله بالرؤساء الأفارقة الحاليين ، اتضح أن المناضلين الأفارقة

تلقوا دعماً إبان فترة التحرير من المنظومة الاشتراكية ، وقال مانـــديلا : إن هذا الدعم كان لقضية التحرير ومقاومة الاضطهاد والميز العنصري ، ومـــن أجل مستقبل شعبنا وليس من أجل دعم الحزب الشيوعي في بلادنا .

كما أكد أن البيض في جنوب أفريقيا يعيشون في القمة ، بينما الـــسود في الحضيض ، وإن 40 % من السود يعيشون حياة ميئوس منها في تجمعات كبيرة فقيرة وقذرة ، كما ا، 30 % هم عمال موزعين في مزارع البيض وفي مستوى معيشي يقل عن مستوى أيام العصور الوسطى .

أما الـــ 30 % الباقية فهم يعيشون في مناطق متاخمة للبيض ، ولـــذا فقد كيفوا حياتهم بطريقة مشابهة لأولئك البيض ، وأوضح مانديلا أنـــه لكـــي نقضي على الفقر وتلك التعاسة ، فعلينا إلغاء السياسة العنـــصرية وقوانينهـــا، ووضع برنامج تعليمي وتدريبي بين السود تعود بموجبه الكرامـــة للإنـــسان الإفريقي الأسود التي افتقدها سنين طويلة ، وواصل مانديلا في مرافعته التي استمرت (4) ساعات متواصلة بقوله : إن الأفارقة يريدون أجوراً مناســبة وعملاً وفق قدراتهم ، ولا يرغبون في طردهم من مواقع أعمالهم بحجج واهية مثل عدم ولادتهم في مناطق الشغل ، إن الأفارقة يحتاجون إلى بيوت مملوكة لهم وليست مؤجرة ، ويريدون أن يكونوا جزءاً من الشعب وليسوا سكان أحياء (الجيتو) الفقيرة المنغلقة على نفسها ، والأسر تطالب بالعيش مـــع بعـــضها صحبة أطفالها ، ولا يجب أن تُرغم على الانفصال في أماكن متباعدة طبقـــاً لقوانين الفصل العنصري ، واستمر مانديلا قائلاً : نحن نريد أن نشارك فـــي صنع الحياة في جنوب أفريقيا ونختار العمل الذي نريـــد ، لا العمـــل الـــذي يرغمنا على أدائه مكتب العمل .

وفوق كل ذلك نريد حقوقنا السياسية والتي بدونها سوف لن يكون هناك أمل في استقرار المنطقة وسلامتها .

وقال : إن ذلك قد يبدوا مطلباً ثورياً متطرفاً في نظر البيض في هذه البلاد ، ولكنه يجب ألا يغطي الحقيقة التي تؤكد أن هذا هو الحل الوحيد لتحقيق السعادة والحرية للجميع .

إن ما ناضل المؤتمر الإفريقي من أجله أكثر من نصف قرن هو تحقيق حياة أفضل لشعبنا ، واستمر قائلاً :

لقد نذرت حياتي من أجل شعبي الأفريقي وإنني ضد سيطرة العنصريين البيض وحدهم وكذلك ضد سيطرة السود دون سواهم ، نحن نريد مجتمعاً نعيش فيه أحراراً متساويين وسعداءً ، وإنني على استعداد لأن أموت في سبيل تحقيق ذلك المطلب .

وبعد أربع ساعات متواصلة دافع فيها ذلك الثائر والمحامي البليغ عن نفسه وعن شعبه أنهى حديثه وخيم صمت عميق على القاعة .

أما عن رفاقه ، فمنهم من قضى نحبه في السجن ، ومنهم من انتظر المحاكمة ودافع عن نفسه ونفى التهم المنسوبة إليه ، وأشار بعضهم إلى الوضع المأساوي الذي يعيشه شعب أزانيا الأفريقي من جراء حكم الأقلية العنصرية البيضاء ، وفي نهاية يوم الاثنين وبداية الثلاثاء في أوائل الشهر السادس من عام 1964 م ، أدخل مانديلا السجن انتظاراً لحكم المحكمة ، وصادف في تلك الأثناء أن أرسل ورقة امتحانات خاصة بدراسة القانون

بجامعة لندن التي كان يراسلها على ما يبدو في تلك الأوقات ، وهو ما يؤكد رؤيته بأن التعليم سلاح في كل وقت وحين.

وفي يوم الخميس 11 / 6 / عقدت المحكمة على عجل ، ومُنعت زوجته وابنتيه (5 و 4) سنوات من الدخول للقاعة ، وبقين مع الكثيرين في الخارج يهتفون لمانديلا ونضاله وينرفون الدموع على بلادهم.

وفي الداخل ، أعلن القاضي في مدة (3) دقائق فقط صحيفة اتهام نيلسون مانديلا ، وتشمل كونه مؤسساً للـ (MK) الجناح العسكري لحركة الـ (ANC) ، وقيامه بأعمال إرهابية وتحريضه على العنف والعصيان المدني في جنوب أفريقيا ، ولذا فإن حكمه سيعلن في يوم الغد .

وانفضت الجماهير المحتشدة بعد أن غنت الأغاني والأناشيد المنادية بحياة مانديلا وأفريقيا ، مرددة لا دموع بعد اليوم ، فلقد لاح مستقبلنا في الأفق مشرقاً وضّاءُ ، نحن فخورين بقائدنا ورمز نضالنا نيلسون مانديلا .

وفي اليوم التالي الثاني عشر من شهر (6) يونيو 1964 م ووسط إجراءات بوليسية مشددة في المحكمة المحاصرة بجماهير حاشدة وهاتفة لحركة الـ (ANC) وزعيمها مُدينة للعنصرية والعنصريين ، وسط ذلك الجو الحماسي المشحون بالرهبة وبالدموع والأمل ، أعلن القاضي أن العقوبة في هذه القضية يجب أن تكون أقسى أنواع للعقوبات ، ولذا فإن حكمي هو السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة لنيلسون مانديلا ، كما شمل الحكم أيضاً بعض رفاقه من أعضاء الحركة .

وفي الوقت الذي كان مانديلا يتوقع الحكم بالموت ، صدر هذا الحكم ، فقال له شخص بقربه في قاعة المحكمة : لا تتم يا مانديلا ، إن أمامك وقت طويل للنوم ، ورغم أن ضابط السجن أبلغ مانديلا ورفاقه بأنهم سيمكثون في

السجن خمس سنوات فقط ، إلا أنهم خرجو منه بعد أكثر من ربع قرن من الزمن .

إن دفاع المحامين في نظام يعتمد السياسة العنصرية منهاجاً وسلوكاً يفقد معناه ، ولذا فإن مانديلا تقبل الحكم بروح وهِمّة عالية ، وتبسّم ورفع إبهامه إلى أعلى وهي علامة تختص بها حركة الـ (ANC) ووسط تلك الجموع الهادرة والتي لم يستطع معها حتى تحية زوجته الباكية ، غادر مانديلا المحكمة إلى سجن جزيرة روبن البغيض وهو في السادسة والأربعين، وبقي به حتى نهاية عام 1988 م ، أي أكثر من ربع قرن من الزمان ، ثم نُقل فيما بعد إلى سجن بمدينة الكاب وبقي به حتى نهاية عام 1989 م .

ويذكر أن من بين رفاقه في ذلك السجن كل من سيزولو ، مبيكي ، مهلابا ، موتسولويدي ، مليغيني ، وأحمد كاثراد ، كما عاد إلى السجن أيضاً رجل أبيض مناهض للعنصرية واسمه دينس جولد بيرج (D. GOLDBERG) وقد رفضوا جميعاً أي اعتراض أو استئناف لهذا الحكم الجائر في حقهم .